قمة وقاعدة وهذا ما هو إلا الوهن الذى أخبر عنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم !!

فما يتعرض له المسلمون اليوم من ذل وضعف هوان ، إنما بسبب ضعفهم ونتيجة لتخاذلهم ، إذ مكن منهم الاعداء بعد أن أدركوا أن سر قوتهم فى عقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم ، فدين هذه الأمة مبنى على عقيدة سليمة ، له ما له من تاثير قوى على هذه الأمة ، وذلك بأن يشعل فيها جذوة الكفاح ضد الأعداء ، ولذلك يكون هو حجر الزاوية فى الثقافة الأصيلة لهذه الامة ، اذ يربط دائما بين حاضر الأمة وماضيها ، وبهذا يكون مصدراً للارتباط ، وأساساً للتماسك الذى يمثل قوة سياسية ، وأيديولوجية غالية ، عند ربطه بمصادره التاريخية ، ربطا محكماً ، يضمن لاصحاب هذه العقيدة ، الوحدة والثبات والاستقرار ، فعلى أبناء هذه العقيدة أن يتسلحوا بالدين ، وعلى المخلصين من رجال فكره أن يكشفوا لهم حقيقته ، وأصالته فى النفس البشرية وأن يبنوا للعالم أجمع أهمية هذا الدين السماوى للحياة المعاصرة التى انعدم فيها الأمان والاستقرار ، وساد فيها القلق والخوف والاضطراب .

من خلال هذا العرض نجد أن علم الكلام الإسلامى فى الفكر الحديث والمعاصر ، لا مفر منه والاحتياج إليه ، للدفاع عن عقيدتنا الإسلامية ، والاحرى برجال العقيدة الإسلامية أن يبذلوا جهودهم المضنية ، وأن يقوموا بدورهم الدفاعى على غرار ما قام به الاقدمون من علماء الكلام ، فقد أضنوا جهودهم بإقامة الأدلة الصحيحة ، مثلما حث القرآن الكريم على ذلك آمراً بالنظر فى هذا الكون الفسيح ، للوصول إلى معرفة الله تعالى ، وسائر صفاته ، وحكمته البالغة فى تدبير هذا الكون ، وكذلك حث القرآن على النظر فى الآفاق والأنفس حتى يتبين لنا الحق من خلاله ، ولا حق بعد الحق سبحانه وتعالى ، وقد صدق

ذلك فى كل وقت وحين ، كما أخبر الخالق جل فى علاه عندما قال : (سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) (١) .

ففى الآفاق لا نستطيع أن نحصى آيات الله ، وقد أشار إليها القرآن الكريم فى أكثر من موضع ، وقد فصل العلم الحديث ذلك ، ولا يزال يبحث عن هذه العجائب الذى تزيدنا يقينا بالله ، من أصغر شئ فى الكون وهو الذرة ، إلى أكبر شئ وهو الأفلاك والمجرات والسديم ، ومن هنا بدأ علم الكلام ن يتخذ وجهة نظر جديدة ، غير ما كان معهودا فيما قبل ، إذ كان علماء الكلام القدامى يتخذون النظر العقلى ، وسيلة لمعرفة أصول الدين ، والدفاع عنها ضد شبه المعاندين ، أو وسيلة لاثبات العقائد الدينية ، أو لمعرفة الله تعالى (٢) ولكى نكون على بينة من ذلك نعرض وجهة نظر القدماء فى تحديد مفهوم النظر فيما يلى :

مفهوم النظر لدى القدماء من علماء الكلام :-

بالنظر فى كتبهم نجد أن يطلق ويقصد به معنى من معان متعددة منها الانتظار ، والروية ، والرأفة والمقابلة والتفكر والاعتبار

وفى الاصطلاح أنه موضوع لبعض مسمياته فى اللغة ، وهو التفكر والاعتبار (٣) أو كما قال الباقلانى : الفكر الذى يطلب به علم أو غلبة ظن (٤) أو هو عبارة عن تصرف العقل فى أمور مناسبة للمطلوبات بتأليف وترتيب ، لتحصيل ما ليس بحاصل فى العقل (٥)

---

(١) سورة فصلت ، آية رقم ٥٣ .

(٢) الايجى : المواقف ج١ – ص١١٩ .

(٣) الآمدى : ابكار الافكار – ج ١ – ص ١٢٥ .

(٤) المواقف : ج١ – ص ١١٩

(٥) ابكار الافكار ج١ – ص ١٢٧ .

أو هو ترتيب أمور معلومة ، على وجه يؤدي ، إلى استعلام ما ليس بمعلوم ، وذلك كما قال البيضاوى ، أما غيره فقد عرفه ، بأنه وضع معلوم ، أو ترتيب معلومين فصاعداً على وجه يتوصل به إلى المطلوب(١) .

هذه التعاريف على كثرتها وتعددها مع غيرها ، تؤدى إلى معنى واحد ، هو الوصول إلى مجهول ، بعد ترتيب الأمور المعلومة ، والتى هى بمثابة حركة النفس فى المعقولات ، لينتج عنها علم أو اعتقاد أو غلبة ظن .

وقد سلم بهذا التعاريف خصوم علم الكلام ، لمسايرتها آنذاك المنطق الأرسطى ، الذى يعترف به الخصم وسلم به أيضا ، ولذلك أوجب القدماء ذلك النظر ، أما فى العصر الحديث ، وبعد الانقلاب الهائل تجاه تعاليم الكنيسة ، ورفض المنطق الأرسطى ، فنجد أن الخصوم لا يرتضون طريقة المنطق الأرسطى القديم ، واتخذوا مناهج أخرى مستحدثة ، واعتبروها طرقا موصلة إلى المعرفة دون غيرها ، أما المنطق الأرسطى فلم يعد صالحاً لمناقشة هؤلاء ، بل الأحرى ، أن تكون هناك طريقة جديدة ،وفى نفس الوقت سديدة وكفيلة بصلاحيتها للمناقشة معهم ، وبالتالى يسلم بها الخصم لمواءمتها المنهج العصري الحديث ، المعتمد على الملاحظة والتجربة ، وبهذا يمكن إقامة الأدلة اليقينية على صحة وثبوت العقائد الدينية.

وبهذا يكون النظر واجبا فى هذا العصر ، كما كان قبل ذلك ، وعليه يكون المنهج صالحا لمناقشة ، خصوم هذا العصر بطريقة يعترفون بها وتكون نوعية السلاح الذى به بها جون العقيدة الإسلامية ، وهو سلاح الملاحظة والتجربة .

---

(١) حواشى على شرح الكبرى ؛ للسنوسى – ص ١٧ .

وبهذا نصل إلى المطلوب أو الغاية من علم الكلام فى عصر التقدم العلمى من أيسر طريق نعرفه ، ومن خلاله تبنى الحجة وتدفع الحجة ، وعن طريق ذلك ، نصل حاضرنا بماضينا ، تجاة الدفاع عن عقيدتنا ، وتتجدد لنا أيضا مجموعة أفكارنا الإسلامية ، وقيمنا الأصيلة ، التى نريد بعثها من جديد ، وبالتالى يكون لنا فيها الأمل والرجاء فى بعث فكر ، نستفيد منه فى تعميق مفهوم الدين فى نفوسنا ، ويدعم فينا أيضا قيمنا الأخلاقية المبنية على هذه العقيدة الأصيلة كما تستعين به أيضا على حل مشاكلنا المعاصرة ، والمتعلقة بدنيانا ومعاشنا ، من أجل تحقيق مثل عليا ، تسعى إلى تحقيقها اليوم شعوبنا الإسلامية ، فى مقابل مثل أخرى مبهمة متناقضة ، تنطلق اليها الشعوب الإسلامية متفرقة ، لتعكس بهذا الانطلاق ، سيطرة قوية لمصالح غربية عن الإسلام ، الذى جا بنفسه ، دفعة واحدة فوق الأجناس والألوان ، وخاطب جميع الشعوب ابتغاء توحيدها فى أمة واحدة متاخية لا تعرف لإنسان فضلا يباهى به إلا بدرجة الاستمسال بعروة الايمان (١)

إذا كان هذا هو ما يحلم به المسلم المعاصر اليوم ، ولكى يصير الحلم حقيقة ، ويتحول من الخيال إلى الواقع ، فلابد من الرجوع الى منطلق فكرى إسلامى أصيل ينور لنا طريقنا نحو تحقيق هدفنا وبلوغ غايتنا ويصون للأمة الإسلامية كرامتها ويوحد كلمتها فتحفظ من الدمار والانهيار وذلك كما يلى :

(١) الاسلام فى مفرق الطرق – ص ١٠٠ .

المنطلق الفكرى الذى يصون الأمة الإسلامية : -

هو التمسك بتراثنا الإسلامى الأصيل : -

ويتمثل هذا التراث فى كتاب الله عز وجل وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، مع الاحتفاظ بدور العقل تجاههما ، من خلال تفاعله مع هذا الوحى الالهى ، ومحاوله فهم الكتاب والسنة والاستنباط منهما ، أى فهم النص الدينى ، وتعقله والدفاع عنه ، بعد معرفة ما يهدف إليه (١).

وكذلك ما ورثناه عن أبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب ، وفنون وصناعات وسائر المنجزات الاخرى المعنوية والمادية (٢) .

فحرى بنا أن نعتز بتراثنا ، إذ كان سببا مباشرا لتقدمنا ورقينا فى الماضى وما فيه من منجزات فى مختلف المجالات ، كان لها دورها البالغ الاثر فى الحضارة العالمية ، بما فيها الحضارة الغربية ، التى تحاول اليوم أن تتنصل من تاثير الحضارة الإسلامية فيها ، هذا التراث الذى يجب أن نعتز به ونفتخر قامت على أكتافه جهود المفكرين من المسلمين الأوائل ، فى مواجهة حملات التشكيك القديمة فى الإسلام ، بغرض فك عراه عروة عروة ، ولكن الله حال بينهم وبين ما يهدفون إليه ، بفضل جهود هؤلاء العلماء من المفكرين المسلمين ، وبهذا أدى علم الكلام دوره ومهمته فى العصور السابقة على العصر الحديث والمعاصر ، تجاه الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، ضد التيارات والثقافات الأجنبية التى صبت هجومها ووحدته تجاه هذه العقيدة الدينية ، التى اتت بحلول جذرية تجاه خالق الكون والإنسان وجميع المخلوقات ، هذه الحلول وثقت بها النفس

(١) التراث والمعاصرة – ص ٢٩ ، د / فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه المقدمة .

(٢) التراث والمعاصرة –ص ٢٧

الإنسانية ، ويطمئن إليها القلب ، وتكون يقينا عند صاحبها ، لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب (١) .

وكما يقول العقاد رحمه الله : هذه العقيدة لا يستغني عنها من وجدها ، ولا يطيق الفراغ عنها من فقدها ، ولا يرفضها من اعتصم منه بمعتصم واستقر فيها علي قرار (٢) .

ولذ[illegible] سنف[illegible] سلمون فيها على قرار ثابت ، وقفت سداً منيعاً وحصناً حصـ[illegible] [illegible] الأفكار والمذاهب الوافدة التى تقتحم المجتمعات الإسلاميه والتى يتشبث أبناؤها بهذه العقيدة ، التى تعطيهم أعماقا للصروح والمجد ، أما إذا تركوها وتخلوا عن غذائها الروحى ، وعن عمقها الإيجابى ، فإنها تصبح فريسة لكل من هب ودب (٣) .

لذا كان على هذه العقيدة أن تدافع عن نفسها وعن حياتها ووجودها ، أمام المناوئين لها على مر الدوام ، وما كان يمكن أن يقوم بهذه المهمة – مهمة الدفاع – خير قيام إلا نفر من المؤمنين بها إيمانا لا يخالطه ريب ، ولا يزعزعه حب مال وولد وجاه ، ذلك أن قوة الإيمان من شأنها أن تفجر طاقات النفس البشرية ، فتصقلها وتحثها على التحصيل والمعرفة، لكي تحصن نفسها أمام الأصدقاء والأعداء (٤) في كل زمان ومكان ، فلا تسقط هذه المهمة ولا تهن أو تضعف ، بل كلما أوشكت من ذلك ، فلابد من إبرازها من جديد ، وتعد بذلك فلسفة حقيقية لعلم الكلام الإسلامى فى العصر الحديث ، ينفتح على كل الآراء انفتاحاً لا يفقده أصالته وارتباطه بتراثه ، وتكون من وظيفته المواءمة بين العلم والإيمان من جانب ، واستخراج القيم الإسلامية الأصيلة ، التى تقف فى

---

(١) د / أحمد السايح : أضواء على الثقافة الإسلامية – ص١٢٥ – ط : ١٩٩٢ م الدار المصرية اللبنانية .

(٢) العقاد : العقائد والمذاهب : مجلد ١١ – ص ٤٣١ – ط : دار الكتاب اللبناني

(٣) د / توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – ص ٧٠٣ – بتصرف بسيط .

(٤) د / فيصل بدير عون : علم الكلام ومدارسه – ص ٨ .

مواجهة قيم الفلسفات المادية ، المعتمدة على العلم والتجربة من جانب آخر ، ولكي يقوم علماء الكلام في الفكر الحديث والمعاصر بهذه المهمة ، عليهم أن يضعوا في الاعتبار عدة سمات ، حتى تكون مهمة الدفاع على الوجه المنوط والمطلوب يكون الحديث عنها تت العنوان التالى :

سمات علم الكلام في العصر الحديث والمعاصر : كما يجب أن يكون عليه في العصر الحديث والمعاصر :

١ – اعتبار الأخذ بنتائج العلم الحديث ومقرراته :

تقترن دعوى الإلحاد المعاصر بالعلم ونتائجه ، التي يظن أنها فاقت الحدود وتعالت على كل معقول حتى فارقته وبزته ، لأن العلم سما بالبشرية إلى مدينة لم تكن معهودة فيما قبل ، من مظاهرها ، هبوط الإنسان على سطح القمر وسيره على أرضه ، وقد أمضى نهاره وليله عليه ، ثم بعد ذلك يقترب من أبواب الكواكب الأخرى ، وانطلاقه أيضا إلى الذرة ليدرسها فيطلق منها قوة ، تفوق كل ما كان ليتخيله في أحلامه ، وقد تمكن بالفعل من تقسيمها ، بعد أن كان يعتقدها وحدة متناهية في الصغر حيث لا تنقسم (١)

وعند المقارنة بين هذا العصر وما سبقه من عصور ، يندهش الانسان ويتمالكه العجب ، لما أنتجته العقول والقرائح ، من الاكتشافات والاختراعات الحديثة ، ولما كشف عنه العلم من أبحاث طريفة في ميدان الطبيعية والكيمياء والطب وسائر فروع العلوم الأخرى ، وما أفاضته الوان الحضارة المنبعثة عن كل ذلك على حياة الناس ، من الوان الترف والنعيم والبذخ ، وما خلقت فيهم من أساليب للمعيشة الجديدة ، تستهوى القلوب والأفئدة بما فيها من غواية وسحر ، كل هذا ، كان يمكن

(١) د / عبد الرزاق نوفل : القرآن والعلم الحديث – ص ٧ بتصرف .

أن تكون ذو ثمرة مفيدة لو صحبه تقدم الإنسانية نفسها ، وتدعيم الإخاء البشرى ، على أسس صحيحة أو على الأقل ، لو نمت مع هذا التقدم صفات الإنسان الروحية والأدبية كالحب والتعاون والتوحد ، وهى كلها مبادئ نبيلة ، لابد منها لحفظ التوازن الاجتماعى ، بين غرائز النوع البشرى العاتية ، ثم توجيه قوى العلم والمعارف إلى خير الإنسانية وإسعادها ، ونفعها الحقيقى ، مع وجود هذا التقدم ، ولكن للأسف أن كل هذا التقدم ، ما هو إلا آلى سطحى ، يحيط بالظواهر دون البواطن وقد يشبع الأجساد ، ولا يطفئ ظمأ النفوس والأرواح ، وذلك لما يصحبه من انحطاط هائل فى الأخلاق والآداب وإهدار مريع للمروءة ، والعفة والأمانة والرحمة والشجاعة الأدبية اللائقة بالكائن الإنسانى ، الاجتماعى بطبيعته ، وإحلال التنازع الوحشى محل تلك الصفات النبيلة (١)

لهذا كان لابد من الدين والإيمان به على أساس أنه ، يحث على العلم النافع ،ويحسن من توظيف نتائجه ، لكى تكون إيجابية فى مصلحة البشرية ومن هنا لا يعارض العلم والإيمان ، ولم يكن صراع بينهما كما يزعم الملاحدة الذين لم يفهموا طبيعة الدين الإسلامى ،وقيمة الرفيعة ، حيث ساقتهم الأهواء ، ورأوا أن من شروط التقدم العلمى ، أن يقترن بالإلحاد ، وهذا مسوغ باطل ، لا أساس له من الصحة ، لأن الإلحاد فى ذاته (لم يكن دليلا على النظرة العلمية ، لأن النظرة العلمية فى مفهوم الإسلام ، نشاط ذهنى قائم على العقل والعقل آلة التفكير عند مراعاة قوانين الفكر ، والعلم ثمرته ، وبهذا الطريق ، يقف الإنسان على الحقائق ، وتزول عن غشاوة الجهل ويحرر من رق الأوهام والخرافات (٢)

ويتولد عنده اليقين الحقيقى بأن الدين ما هو إلا علم ، وما العلم إن كان حقا لا ريبة فيه ، إلا دين ، فالعلم بدأ وانتشر على أيدى رجال

---

(١) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : الدين والفلسفة والعلم – ص ٢٠٦ بتصرف واختصار .

(٢) د / محمد شلتوت : من توجيهات الإسلام – ص ٢٣٠ بتصرف واختصار .

الدين ... فعلى أيديهم يتثقف العالم ، وبجهودهم عرف العدل والرحمة والقوانين ، وبتفكيرهم الديني تغلغل العلم في أسرار الكون (١) .

كل هذا وغيره عمل بتوجيهات القرآن الكريم ، ووصايا الرسول العظيم ، حيث دعا القرآن إلى العلم وحث عليه ، على أن يكون قيمة يجب التمسك بها ، مع الإشارة إلى منهج المعرفة العلمية عن طريق الاستدلال العقلي ، القائم على التأمل العقلي ، والاستقراء التجريبي ، القائم على الملاحظة والتجربة ، كما منحنا القرآن العظيم : إشارات وومضات وحقائق تتصل بالكون الفسيح ، ليستغلها العقل وينتفع بها في دراسته للكون ، هذه الحقائق وتلكم الومضات والاشارات تحث على ضرورة التفكير في قوانين الطبيعة ، ضاربا بالقرآن الكريم لنا بها أروع الأمثال من علوم الكون والفيزياء ، والاحياء والطب ، كعلامات دالة لكل الناس يقول تعالى في سورة الغاشية :

" افلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت " [١٧- ٢٠]

ويقول تعالى :

" إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب " [آل عمران آية : ١٩٠] .

وبهذا نرى أن القرآن الكريم قد حوى العديد من أمثال هذه الآيات ، التي تحث المؤمنين على دراسة الطبيعة ، والتفكير فيها ، وعلى الاستخدام الأمثل للعقل ، بحثا عما هو جوهري في الطبيعة لكي يصبح اكتساب المعرفة والتفهم العلمي جزءا لا يتجزأ من حياة المجتمع (٢) .

---

(١) د / محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام – ص ١٢٠

(٢) د / محمد عبد السلام : المسلمون والعلم – ترجمة : د / محمد كامل الموصلي – ص ٢٨ – ٢٩ – ط ١٩٨٦ م .

فلا كيان لأي مجتمع إنساني ولا حياة له بغير القرآن ، فهو له بمثابة الروح والعقل والقلب ، وهو له الضياء والغذاء والشفاء ، والحرس الذى لا ينتهى له مدى ، ولا ينضب له معين (١) بأن تخلق في المجتمع الإنساني الحافظ والمتماسك بشرع الله ، ويهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخ المناسب للروح العلمية ، التى تعمل على رقى المجتمع البشرى ، وتحفظه من المهلكات والضعف والانحلال ، بعكس ما كان سائدا في العصر الوسيط في المجتمع الغربي الأوربي ، حيث كانت السلطات الدينية تدين أي تقدم علمي ، وتقف في سبيله بإسم الدين ، وقد تجاوزت الحدود في ذلك حيث ألصقت هذه التهمة بديننا الإسلامي ، ظنا بأن العلم وفد إلى أوربا من الأندلس المسلمة ومن بغداد وبالتالى سيأتى علماء أوربا بالعلم من بلاد المسلمين اليوم وغدا بالتوحيد من بلادهم . (٢)

لهذا الأمر ارتعدت السلطات الكنسية من ديننا الإسلامى ، وألصقوا به التهم وهو منها برئ ، لأنه يرغب في العلم ويدعو إلى طلب المزيد منه ، والحث على التناسل الفكرى وضرورته في الحياة ، ولو توقف لارتطم الإنسان في حياته بكثرة ما تلد الطبيعيات التى هو منها ، وعندئذ يعجز عن تدبير الحياة النامية التى لم يقدر لها النماء إلا خدمة له وسبيلا لخيره ونفعه ، فيتحقق فشله في القيام بمهمة الخلافة الأرضية التى اختير لها ، ووكلت إليه منذ القدم (٣) .

فتطور الفكر وتناسله مما جعل المسلمين الأوائل ، يقبلون بشغف على التطلع إلى ما وفد إليهم ، من علوم وفلسفات أخرى ، من أصحاب الأمم التى دخل الإسلام ديارهم ، متناولين إياها بالدراسة والنقد والبحث والتمحيص ، فأنشأوا علومهم ومعارفهم وفلسفاتهم ، وبذلك نحجوا أيما

(١) أ . حمدى ابراهيم عيسى : العلم والمجتمع العربى – ص ٤٢ بتصرف – ط : ١٩٧٦ م ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) محمد السيد الصفطى : الإسلام وأخطر التيارات الفكرية الهدامة – ص ١٧ – ١٩٧٧ نشر مكتبة العسلى بالسيدة زينب .

(٣) الشيخ / شلتوت . من توجيهات الإسلام – ص ١٢٣ .

نجاح في تثبيت دعائم الإيمان ، وتأسيس أركان العقيدة ضد المحاربين لها ، والمسلمون اليوم فى أمس الحاجة إلى هذه المهمة فى ضوء معطيات العلم الحديث ، ومقرراته ، فينبغى فهم أيات القرآن التى تناولت الكون ، في ضوء نتائج العلم الحديث ، وعن طريق ذلك يمكن من يتصدى للدفاع عن العقيدة أو الدين ، أن يمزج استدلالاته على العقائد ، بما يصل إليه العلم ، حيث إن وظيفته الملائمة لروح العصر الحديث ، تكمن فى رد ظواهر الكون فى نشأتها الأولى ، إلى قدرة الخالق جل جلاله (١) .

٢ – أن يكون للعقل دوره ومهمته فى فهم الدين ونصوصه : -

يتعرض الدين الإسلامي لكثير من الحملات الظالمة والمنظمة لمناهضته والنيل منه ، وقد تصدر هذه الحملات إما عن عصبية أحيانا ، أو عن جهل فاضح أحيانا أخرى ، وفي الحقيقة أن هذه وتلك تصدر عن نزعات كيدية استعلائية ، تثبيطا لهمم أهله ، وتعميقا لآلام الجراح ، التى أصابت الأمة الإسلامية فى تاريخها الطويل ، بحجة أن هذا الدين لم يعد مفيدا فى تقدم البشرية ، وأن نصوصه لم تكن حافزا للعقل على أن يقوم بدوره ومهمته تجاه رقى الحياة فى البشرية ، وخدمتها فيما ينفعها، هذه فرية لهدف من ترديدها ، القول بجمود الحياة الفكرية عند المسلمين، نتيجة لموقفهم السلبي ، تجاه تطورات الحياة وأحداث الزمن المتجددة بين الحين والآخر ، والدين لم يرد لهم ذلك ، بل وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله ، فكتابه القرآن الكريم ، كتاب الكون كله منذ نشأته إلى نهايته – وعلى المؤمنين به – أن يتلمسوا فيه أصول تفكيرهم، وأن يطمئنوا إلى أحكامه الكلية ، وأن يجتهدوا ما شاء لهم الاجتهاد في محيطه الواسع (٢) .

---

(١) ابراهيم محمد كمال عبد الباقى : الدين والعلم الحديث – ص٥٢ – ط : المطبعة التجارية بمصر – ط ١/ ١٩٦٤ م .

(٢) د / على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام – ج١ – ص ٣٢ .

وأصول التفكير قائمة على العقل ، الذى يضع الكلام المعقول ، ويرتبه وينظمه على أتم صورة ، يبتغى من ورائها الوصول إلى غاية منشودة فتأتى الأجزاء " المقدمات " مرتبة على نحو يكون فيه الجزء اللاحق قائما على بينات وردت فى الأجزاء السابقة ، ومثل هذا يؤدى حتما إلى نتيجة يخرج بها السامع ويطمئن إليها ، لاستنباطه نتائج محققة سام ٪ من مقدمات بسيطة ميسورة (١) .

ومن هنا نقول : إن للعقل دوراً أساسيا فى فهم النصوص الدينية وذلك بسيره على القواعد المنهجية ، التى يصل من خلالها إلى فهم النصوص الدينية ، والدفاع عن أصول المسائل العقائدية .

وبهذا يمكن تفهم الدين بالعقل والدفاع عنه به ، وعلى هذا سار الإمام أبو الحسن الاشعرى ، فقد كانت طريقته استخدام العقل فى فهم النصوص ، واستخراج الأدلة منها ، مع شئ من التحليل والترتيب للمقدمات التى يستنبط منها النتائج ، وهذا هو ما حثنا عليه القران الكريم ، عندما وجه العقول إلى البحث والنظر فى الآيات المخبرة أو الكاشفة أو المرشدة إلى نصب الأدلة(٢)

يقول تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [سورة فصلت : ٥٣] ويقول أيضا : (فاعتبروا يا أولى الأبصار) [سورة الحشر : ٢]

إلى غير ذلك من الآيات التى تحث على التأمل والتدبر ، وحسبنا أنها عبادة قال عنها الإمام على بن أبى طالب : لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها (٣) .

---

(١) الاسلام من خلال مبادئه – ص ٥٥ .

(٢) يراجع فى ذلك علم الكلام ومدارسه – ص ٢٧١ ، د/ عادل خضر ، ابو الحسن الاشعرى ومرحلة الانتقال الفكرى – ص ٧٠ – ٧٥ .

(٣) الإمام الغزالى : الاربعين فى اصول الدين – ص ٢٠ .

فميزة التدبر ، جنى ثمار المعرفة من أغصانها ، واقتباسها من أوطانها ، حيث إن لكل ثمرة غصنا ، ولكل جوهر معدنا (١)

ولن يكون ذلك إلا بآلة التدبر العقل ، ويكون موقفه من النصوص الدينية ، موقف المتعلم المسترشد ، المستهدى ، لا موقف المتحكم المسيطر المهيمن (٢)

ويكون ذلك بالنظر فيما بين أيدينا من ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ إليه من وقائعة ، تحصيلا لليقين بما هدانا إليه (٣).

نور رب العالمين ، المشرق على القلب ، والممتد إلى العقل ، فيكون سببا فى إضاءته بنور الله المنبعث من القرآن الكريم الكتاب السماوى الخالد ، الذى أبرز كرامة العقل ونظر إليه نظرة تكريم وإجلال ، حيث أطلقه يسرح فى رحلات مباركة ، يجوب الآفاق ويكتشف الأسرار ، ويمود براد من الإيمان ، فلم يحجر عليه ، أو يقلل من شأنه ، فما أكثر ما تقرأ من نصوص القرآن الآيات التى تبين دور العقل مثل قوله تعالى : (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله : " إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون " وقوله : "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " وقوله : (إن فى ذلك لآيات للعالمين " وقوله: " إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

وعلى كل نجد أن العقل سبيل إلى العلم ، وطريق إلى التأمل والتدبر ، فإن آيات القرآن بهذا الشان تفتح مجالا طويلا ممتداً أمام العقل ، حتى إذا سما ونما كان كفيلا برقى البشرية ، لذلك عنى به الإسلام عناية فائقة ، بتنميته وتقويته ، وتكوينه تكوينا سليما ، لتصبح أحكامه

---

(١) السابق – ص ٣١ .

(٢) د / محمود بركات : البحث بين الأديان – ص ٢ – ط ١ ١٩٩٠ م .

(٣) الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد – ص ٢٤ .

وطريقته فى ذلك التأمل لهذا الكون العجيب ، نتيجة رحلاته التأمليه والتدبرية من أجل أن تثرى بعلوم جمة ذات معارف مثمرة ترتبط بسعادة الإنسان ، أو تحقيق سعادته ، كدراسة نواميس الكون ، وقوانين العلم وسنن الحياة من خلال الميادين المتاحة للعقل البشرى فما أوسعها وما أكثرها مما يتطلب من جهد وكفاح وما أروع ما تحققه من ثرات الهداية والايمان ، وبناء الحضارة والعمران !! (١)

فلابد من الاعتماد على العقل فى فهم الدين ونصوصه ، لعلم الكلام المعاصر ، من أجل معالجة ما يتصدى له من مشكلات ، أو من أجل مجابهة المشكلات التى تعترضه ، ولكى يحقق هذه المهمة ، لابد وأن يتآخى مع الدين ، وهذا ما كان لأول مرة فى كتاب منزل وعلى لسان نبى مرسل ، وهذه قيمة ترفع من شان العقل ، وبقاؤها يشيع فينا ، حرية الفكر التى تنتج إقامة الحوار البناء والهادف ، مثلما حدث من قبل لدى مدارس الفكر الإسلامى كالمعتزلة مع حصومهم ، مما كان له أعظم الأثر فى تربية الروح العلمية وترقيتها ، والعمل على وجود افراز من العلماء كان ولا يزال يُخلد نجمهم أمثال : البيرونى وابن الهيثم ، وابن رشد والرازى وابن سينا ، فكلما طال الحوار ودار النقاش ولد معارف جديدة تحمل معانى جديدة لم يالفها السامعون من قبل ، وإلا فالصمت خير من الكلام .

٢ – الانفتاح على ثقافات العصر وفلسفاته : -

قد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة ، على الائتلاف بين شعوب العالم ، وجعلته كالقرية الصغيرة ، لتعلن اننا قد بدأنا عصراً جديداً من عصور الحياة البشرية ، أول مميزاته ، أن سكان الكرة الارضية فيه ، قد تقاربوا وتعارفوا ، وتفاهموا فاتفقوا أو واختلفوا ، وتعاونوا أو تطاحنوا،

(١) توفيق محمد سبع : واقعية المنهج القرآنى – ص ٣٧٥ بتصرف .

وعلى أى حال ليس هناك على وجة الأرض الآن ، وطن منعزل أو شعب مجهول ، أو غير خاضع لشرائط المدنية العصرية وقوانينها (١)

وقد مهد ذلك إلى التعرف على كثير من العلوم والمعارف ، وعديد من التيارات والاتجاهات الفلسفية ، حيث راجت هذه الاتجاهات فى المجتمعات الإسلامية رواجا كثيرا ومع هذا الرواج المنتشر بين أبناء المجتمع الإسلامى ، نجدها تحمل بين طياتها أفكاراً تخالف تعاليم الإسلام ، وما كان هذا أمر ينبغى السكوت عليه بل يدعو إلى مواجهة أصحاب هذه الاتجاهات ، ودراسة أفكارها دراسة واعية والتعرف على ما فيها من مكامن الخطورة التى تضر بأبناء المجتمع الإسلامى ثم التصدى لها بكل حزم وعزم وقوة ، أما الهجوم بلا دراية فكانه حرب فى عماية ، ولنا فى أسلافنا الأوائل الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، فعندما استقر أمر الإسلام فى الأمصار المفتوحة ، وجد بعض المسلمين لديهم من الوقت فسحة تسمح لهم ، بتداول تراث الأمم المفتوحة ذات الحضارات العريقة، فاطلع المتكلمون من المسلمين على المنطق اليونانى والفلسفة اليونانية وغيرها إثر نقل هذا التراث إلى اللغة العربية ، وكان ذلك بتشجيع من بعض الخلفاء العباسيين ، وكان من نتائجه ، أن اتخذ المتكلمون من المنطق اليونانى أداة مسوغة لهم فى الدفاع عن علم الكلام – كما تم المزج بين موضوعات العقائد الإسلامية وبعض موضوعا ت الفلسفة ، وقام بهذه المهمة المتكلمون من المعتزلة إبان عصر الخليفة العباسى المأمون (٢) ففى عصره قويت حركة الترجمة ، واتسع نطاقها ، إذا قام بإرسال البعوث إلى الامبراطورية الرومانية ، لاحضار المصنفات الفريدة فى الطب والهندسة والفلسفة والموسيقى – وقد نقب المسلمون فى أسفارهم هذه – عن المؤلفات النادرة .(٣)

(١) الاسلام من خلال مبادئة التأسيسية –ص ٨٨ .

(٢) د / ابو الوفا الفتيمى : علم الكلام وبعض مشكلاته – ص ٢٢ وما بعدها .

(٣) د / أحمد الحفناوى : الحضارة الإسلامية فى ظل الخلافة العباسية – ص ١٢٢ – ط : ١٩٧٩ دار الشعب .

وتتجه لهذا النشاط الملحوظ فى ميدان الترجمة ، اشتغل الكثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية ، وعملوا على تفسيرها ، والتعليق عليها واصلاح أغلاطها (١) .

ومن خلال هذا التراث المترجم بجانب تراثهم الإسلامى الأصيل ، كان للعرب المسلمين ابتكارات فى فروع العلم المختلفة ، دون أدنى مساعدة من غيرهم ، وذلك عن طريق التفسير للبعض ، والتعليق والإضافة على البعض الآخر ، وبهذا قد أدوا خدمة جليلة للثقافة العالمية ، لإنقاذهم هذه العلوم ، وتلك الفنون – التى أحيوها – من فناء اللاتينية ، فكانت أساساً لثقافة أوربا الحديثة (٢) .

هذا ولم يكتف العرب ، بما نقل إلى لغتهم ، إذ تعلم عدد غير قليل منهم ، اللغة اليونانية ، ليستقوا منها علوم اليونان ، حيث كانت معارف اليونان واللاتين القديمة ، أساساً لثقافة متعلمى العرب ، ولكن العرب المفطورين على قوة الابداع ، لم يكتفوا بحال الطلب – بل – تحرروا بما عرف عنهم من النشاط ، حتى عاد الإغريق وهم ليسوا أساتذه العرب(٣).

إذا كان هذا موقف علماء الإسلام القدامى تجاه الفلسفات الوافدة على المجتمع الإسلامى آنذاك من قيام لها بالدراسة والنقد والتمحيص ، وابراز ما فيها نفعا من عدمه ، دفاعا عن العقيدة الإسلامية ، فكذلك الامر والحال لدى علماء المسلمين المحدثين والمعاصرين دفاعا عن حياض هذه العقيدة ، التى تؤلف بين المسلمين ، حيث إن أعداءها يحاولون تحطيم وحدة الإسلام الخالدة ، والقضاء على رباطه المقدس ، بحجة التعارض بين الشرق والغرب (الشرق الإسلامى والغرب المسيحى) ، فالأول خامد

---

(١) السابق – ١٦٣ .
(٢) د / أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية – ج٣ – ص ٢٣٢ – ١٩٦٦ م .
(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب – ص ٢١٠ – ترجمة عادل زعيتر – ١٩٦٤ – القاهرة .

جامد ، والثانى متفتح مبتكر مخترع ، ولا يكون ذلك إلا من الجنس الارى، وقد تبنى هذه الفكرة وروح لها " أرتست ربنان " ومن نحانحوه ، وأيا ما كان، إذا كنا فى عصر المكتشفات العلمية والمخترعات الحديثة ، وفيه ساد العلم التجريبي جميع الأفاق ، وحاول المجربون فيه ، اخضاع كل المعارف والعلوم لهذا العلم المنفرد بالمادة وحدها ، وهى من وجهة نظره ، الموجود الحقيقى وحده ولذلك أنكر ما بعد الطبيعة ، ونبذ كل مالا يخضع للتجربة الحسية ، فى الحقيقة أن هذا الادعاء تيار مادى ، دفع الروح الغربية ، إلى هذه المادية المفرطة فى الجمود والجحود، وجعل جميع القوى متمركزة فى دراسة أسرار الطبيعة ، بقصد تيسير الحياة المادية ، وقد تمخض عن هذا الادعاء الباطل ، تيارات ومذاهب وفلسفات أخذت تتلاقى وتتجابه وتتعارض وتتصادم وتتبادل ، التمزيق والتحطيم باسم الحقيقة المتحولة والخير المتغير (١)

أما عن الموقف تجاه ذلك فقد تمثل فى أن بعضاً من صفوة المسلمين أصحاب العقول الراجحة ، والأفكار الثاقبة ، والنفوس الطاهرة والقلوب النبيلة الذين منحتهم السماء ، نعمة العقل الراجح ، والفكر الثاقب ، والرأى الصائب ، وأتاحت لهم فرصة التثقف الواسع ، والاطلاع الشامل لما نادى به بع الغربيين من أصحاب العقول المهتزة والنفوس المضطربة والعقائد المزلزلة التى لم تلبث أن تثبت أمام الأسرار الإلهية أن العلم الذى تتبناه عقيدتنا ، ليس علما ضيقا ولا نظريا بل علم يشمل كل نواحي التطور البشرى ، وقد أنشأ به أسلافنا حضارة عالية أسعفت الدنيا وأسعدتها الناس ، وأن هذا العلم يتماسك موضوعيا ، لينشئ معرفة شاملة عن الوجود ، وأنه واسع عريض يتخذ من الكون كله مجالاً لنشاط متجدد وحيوية رائعة وان عقيدتنا تبسط جناحها على الحياة وتسيطر على الضمير وتشجع العلم والمعرفة ، وتتخذ من العقل صديقا ودوداً فى رحلة الحياة ،وهكذا تنمو الحركة العلمية وتزدهر فى

(١) الاسلام من خلال مبادئه – ص ٢٢، ٢٤ .

رحاب هذه العقيدة ، لتكوّن علما نافعا ، مثمراً بانيا للحياة ، محققا لآلام الناس معبراً عن الإيمان ، موصولاً بالله رب العالمين (١)

هذا ما أكده العلماء المسلمون المعاصرون ، عندما وقفوا على أغراض وأهداف المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة ، موقف النقد والتفنيد لا موقف النقل والتقليد ، وهذا لا شك يمنح فرصة عظيمة ، لتأسيس دفاعات قوية عن هذا الدين ، تتماشى مع ثقافات العصر بل وكل العصور ، وتثبت أيضا أن هذا الدين لم يتغير ولم يتبدل ، رغم تطاول الأيام عليه ، وتصارع المدينات حوله ، مع قيام بعض القوى بثقافاتها المختلفة وفلسفاتها المتباينة في فترات قصية ودانية وعصور ماضية وحاضرة ، على الايقاع بين الاسلام بالذات وبين المدينة ، واظهار هذا الدين بمظهر المتعنت المستبد ، والذى لا تسرى فى أوصاله الحياة ، إلا إذا تغذى من دم المدنية المسفوح ، وثقافاتها المبددة (٢)

هذه حصيلة مذاهب فكرية ، تريد مواجهة الإسلام ، كالشيوعية والاشتراكية والرأسمالية ، لكن رواده لم يقفوا مكتوفى الأيدى تجاه هذه الشائعات المنكرة ، والتى ليس لها من الحظ أو فى نصيب ، فقد عملوا بالقضاء عليها وإظهار هذا الدين بمظهره العذب الفياض كما تنزل من السماء .

٤ – واقعية المشكلات التى يهتم بها :-

قد صادف علم الكلام مشكلات ، تكاد تكون عاملا قويا في إثرائه وازدهاره وتطوره ، نظرا لظروف نشأتها فى المجتمع الإسلامى الأول ، وفى الصداره منها مشكلة الامامة وما ارتبط بها من صراعات سياسية بدأت منذ أواخر عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله

---

(١) واقعية المنهج القرآنى – ص ١٠١ – ١١٠ بتصرف واختصار .

(٢) د / مصطفى صادق الرافعى : الإسلام انطلاق لا جمود – ص ٧ بتصرف واختصار .

عنه ، وانتهت بمقتله بدون حكم شرعى ، وقد وصلت ذروتها فى عهد الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه بنشوب حرب الجمل ثم حروبه مع معاوية إلى أن انتهت هذه الحروب بمقتل الإمام على رضى الله عنه (١).

وتكاد تكون الإمامة من المشكلات الثوابت التى أثرت فى نشأة علم الكلام قديما ، وقد تناولتها أنماط وطرائق بالدراسة والبحث من جيل الى جيل فى الأمة الواحدة ، ومن أمة لأخرى عبر الانسانية جمعاء ، وبهذا التناول مثلت إشكالية اهتم بها علم الكلام قديما وحديثا ، واتحنت حولها وجهات النظر وتباعدت ورغم ذلك ظلت ثابتة فى ذاتها ، لا تتغير رغم اختلاف الأراء حولها (٢)

وما زالت هذه المشكله تنبض بالحياة فى واقعنا المعاصر ، لتفجيرها لما يسمى بالفلسفة السياسية فى الإسلام ، يستفاد منها الآن بدروس تهم المجتمع الإسلامى ، وخصوصاً فى تولية الولايات للقادرين عليها ، طبقا للشروط والأوضاع التى يجب أن تتوافر فى العناصر البشرية اللازمة لشغل هذه الولايات ، كل بحسبها ، سواء أكانت ولاية على الأموال أو الأعمال ، ابتداء من ولاية الحكم ، إلى أدنى درجات الإماره (٣).

وإن كانت ولاية أو تولى منصب الرياسة العليا بدون شك من أخطر المناصب شأنا ، تتجه إليها الانظار ، وترنوا إليها الأبصار ، ويتزاحم الناس عليها ، أملا فيها مضحين فى سبيلها بكل ما يملكون ، ويستخدمون في بلوغها كل ما يقع في أيديهم ، وقد يصل الأمر إلى حد الاقتتال عليها ، معتبرين الوصول إليها مغنما ينعمون ويرتعون فى ظلها ، ويتجبرون تحت حمايتها ، وكم عانت الشعوب من الخسف والهوان بضياع حقوقها وحرياتها فى ظل تلك الرياسات (٤)

---

(١) د / محمد صالح السيد : أصاله علم الكلام – ١٠٦ بتصرف – ط : ١٩٨٧ م

(٢) د / محمد أحمد عبد القادر : قضايا الفكر الإسلامي الحديث – ص٨ بتصرف – ط : ١٩٩٧ م

(٣) أ / عبد العظيم منصور : درر اسلامية – ص ٤٨ .

(٤) السابق – ص ٥٠ .

ومن المشكلات القديمة التي ما زال صداها يتردد ويشغل بال المفكر المعاصر، مشكلة الحرية ، وإن كانت تفرعت إلى الحرية السياسية، والحرية الاجتماعية إلا أنها ما زالت تمثل عناية المعاصرين ، فهى مشكلة إنسانية عامة يعنى بها الانسان فى زمان ومكان ، ولازالت أراء القدامى ذات فائدة فى هذا المضمار ، لان الحرية في الإسلام من اقدس الحقوق كفلها الاسلام ، وخطابها خطوات لا تزال الحضارة الحديثة متخلفة عنها ولا يزال التاريخ يحدثنا بامثلة منها وقعت فى مجالس الخلفاء والأمراء (١) .

فمن ذلك على سبيل المثال :

حرية الرأى والقول والتى أضحت مفخرة من مفاخر الدين الإسلامى ، ومبدأ من المبادئ الأساسية ترتكز عليها الدولة الإسلامية الصحيحة قد دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطبقها من بعده صحبه الكرام فها هو لصديق رضى الله عنه ، عندما بويع خليفة للمسلمين ، اعتلى المنبر وخطب الناس قائلا : قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن احسنت فاعينوني ، وإن اسأت فقوموني ، اطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم فهذا القول البليغ وهذا الإسلوب فى التنبيه ، والتشجيع على النقد يعتبر مدرسة لحرية القول قل نظيرها في الإسلام وها هو ابن الخطاب يدعو الناس على طريقة سلفة الصديق الى معونته إن أحسن وإلى تقويمه أن اعوج فينهض أعرابى من بين الصفوف ويتصدى له قائلا : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا فينشرح لذلك صدر عمرو ويشكر الله الذى أوجد فى رعيته من يستطيع تقويم اعوجاج عمر (٢)

هذه حرية الرأى مثلت معلماً هاما من معالم الفكر الإسلامى قديماً كهذين الموقفين ، وحديثا أيضا يتمثل فى عقد المؤتمرات والندوات

---

(١) أ / عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة – ص ٧٥ .

(٢) الاسلام : انطلاق لا جمود – ص ٤٠ – ٤١ .

وتبادل الآراء فيها مهما كانت ساخنة ، وكذلك إصدار الجرائد والمجلات والنشرات المختلفة التى تنطق بصوت اتجاه ما او تبنى موقف ما أو تنادى بمواقف معينة (١)

ولكن انهض وأقول : ان إبداء حرية الرأى تجاه الحاكم الآن أمر معدوم ولن يجرؤ إنسان مهما وان كان أن يقاطعه مثلما حدث مع ابن الخطاب رضى الله عنه .

وفى المنظور الاجتماعى نلحظ ايضا ما عرف باسم حرية الرأى التى كفلها الإسلام وضمن لها حقوقها ، وأعاد لها مجدها وكرامتها وعزتها وحررها من قيد الذل والاستكانة والهوان ، فالإسلام أعطى المرأة كل الحقوق التى منحها للرجل ، مدنية كانت أو سياسية ، فلها حق العمل بمزاولة كل مهنة شريفة ، ولها حق الانتخاب والتمثيل النيابى والإدارى وأن تتولى مناصب القضاء ففى صدر الإسلام بايعت النساء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس هناك من أمة تحت السماء أنصفت المرأة وناصرتها وحررتها مثل الامة العربية وفى هذا يقول فون كريمر ": إن العرب كانوا مفطورين على احترام النساء ، ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم (٢) .

ومن المنظور المعاصر للفكر الاسلامى الحديث نلحظ أن ما أثاره بعض المفكرين المحدثين ، من ضرورة حصول المرأة على مثل تلك الحقوق كحق التعليم مثلا لتكون أما صالحة ، وكذلك حق العمل إذا اضطرتها الظروف لذلك ، على غير ذلك مما أثير فى هذا الصدد من محاولات للتسوية بين الرجل والمرأة .

---

(١) قضايا الفكر الإسلامى : ص ٢٠٤ بتصرف بسيط .

(٢) الاسلام انطلاق لا جمود ص ٤٢ – ٤٥ بتصر واختصار .

هذه المشكلات وغيرها بالنظر إليها نجدها تتصل اتصالا مباشرا بالواقع ذلك لأنها نبتت فى أرض الواقع ، وفرضت نفسها على عقول المفكرين الإسلاميين فرضا ينبض بالحياة وينبت نبتا فى تربة الحياة العملية ، لذلك كابدوها وعايشوها ولازالوا . وهذا ما يجعلنا نقول بأن تناول الحرية بهذه المعانى ، وبكل مستوياتها فى الفكر الحديث يضفى عليها ثوبا جديدا تطرح به لمن يعهدها من قبل ، والذى نريد أن نقوله هنا ونشدد فى إبرازه ، أن هناك ارتباطا بين هذا الطرح القديم والحديث لمفاهيم الحرية بثوبه الاصلاحى ، وهذا هو ما حرص عليه رواد الفكر الاسلامى الحديث ، على أن المسائل أو المشكلات التى تثار ربما يكون اكثرها أو أغلبها لا صلة له بواقع الحياة التى نحياها ، لأنها ليست مشكلاتنا بل مشكلات ثقافات وافدة ترتدى كما يقولون مسح التقدم والتطور وفيه تفرز افرازات لا عهد للأولين السابقين بها ، وهل هذا يعنى أن يقف المسلمون تجاهها بدون رأى ؟!

هذا مالا يمكن أن يكون كى لا نرمى بالتقاعس والخمول بل يجب التصدى لها ومحاولة التماس الحلول لها ، التى تقوم على فهم نصوص الدين فهما عقليا ، مع الاستعانة بما يمكن الاستفادة به من ثقافات العصر حتى يمكن التوفيق بين الإسلام ومقتضيات الحضارة الحديثة ، ولا مانع من أن نقتدى بغيرنا وذلك بأن نأخذ أحسن ما لديه فإن كان صوابا وموافقا فلا وجه لإنكاره وإهماله ولذلك يقول الامام محمد عبده

أن الامم يأخذ بعضها عن بعض فى المدنية ، كلما كانت الحاجة ماسة ، وقد أخذ الغرب الآرى عن الشرق السامى ، اكثر مما يأخذه الآن الشرق المضمحل عن الغرب المستقل (١)

وهكذا كان الحال لدى علماء الكلام القدامى فى مهامهم التى قاموا بها من أجل تحقيق غايتهم المقصودة وهدفهم المنشود ، وكذلك

(١) قضايا الفكر الاسلامى – ص ١٧٥ .

الأمر أيضا بالنسبة لعلم الكلام المعاصر من أن يفي بغرضه دفاعا عن الدين ، وبعث قيمنا الإسلامية من أجل مواجهة الاتجاهات التى تفد الينا مواجهة حاسمة بما يتلاءم مع ظروف العصر الحديث ، ومتغيراته الثقافية والفكرية وقد قام بهذه المهمة خير قيام أصحاب النزعات التجديدية الحديثة أمثال السيد جمال الدين الافغانى ، والامام محمد عبده ، والسيد رشيد رضا وقد حاولوا قدر جهدهم إبراز هذه السمات التى قد تعرضنا لها والتى ينبغى أن يتحلى بها علم الكلام المعاصر كى يستطيع مواجهة ما يعترضه من مشكلات عصرية والله من وراء القصد وهو حسبى ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .